

السبب في نبوغهم في فن الشعر وتفوقهم فيه على العالم في أيامهم، فقد نظروا إلى الطبيعة نظرة حمة الضياء، غزيرة الشعاع فتبينوا باطنها وكشفوا دخائلها، وعرفوا أن الموسيقى هي قلبها، بل هي جلالها وجلالها فأخذوا يقتربون منها، يحاولون أن يعرفوا أسرارها ويتمثلوا نغماتها، فكانت هذه الآثار العليا في فن الشعر التي لا يزال شعراء العالم يحتذونها حتى الآن.

والعاني الموسيقية التي يغنيها الشاعر لا ينقلها إلينا من الطبيعة نقلاً، وإنما يزوجها بقلبه، ويخلطها بدمه، ثم يقدمها إلينا فتؤثر فينا، لأنها تصدر عن القلب، وكل ما يصدر عن القلب يؤثر في القلب، ولكن جماعة من النقاد زعمت أن الشاعر لا يرينا شيئاً أكثر من الواقع الخارجى، وكل ما يملك تلقاه إنما ينحصر في كشف حقائقه، وكأنهم أبوا إلا أن يفسروا كل شىء في الوجود تفسيراً مادياً، فأنكروا الخيال، وكأنهم ما عرفوا أن في الوجود شيئاً آخر ليس حقيقة مقيدة، ولا مادة محسوسة، وإنما هو نور يشع على وجه الطبيعة فيشرق على قلوب الشعراء، ويختلط بما فيها من نعمة وبؤس وسعادة وشقاء، وفرح وبكاء، ويمتزج بما في رُوعهم من خطرات وأفكار وخوالج وآراء، فإذا هو نغم مزيج من الإنسان والطبيعة وغناء خليط من قلبه وقلبه، بل من خياله وجمالها.

وقد يكون من الجحود أن نقول إن الشعر من الأعمال الموضوعية التي لا يتبين لصاحبها فيها أثر، والتي يُقتصر فيها على إبداء الملاحظات وذكر التنبهات، فإن الشعر ذاتياً أكثر منه موضوعياً، وداخلياً أكثر منه خارجياً، وهو يعنى بتقديم شخصية صاحبه قبل عنايته بتقديم الموضوع الذى يحاول الكلام فيه، وما التصويرات والأفكار الشعرية إلا الواقع كما نحلم به ونتخيله، لا كما نراه ونشده. ولو كانت مهمة الشعر هي نقل ما في الطبيعة لكان تكراراً قليل القيمة، ولو كانت هي فكرته عن الجمال لكان أقل قيمة وأدنى درجة، وإنما تتركز مهمته السامية في أنه الحلقة الرابطة بين الطبيعة في أجمل مظاهرها وأسمى معانيها وبين روح الإنسان.

وإذن فالشعر لا يتبنى نقل حقائق الأشياء ولا إظهار جانب الحق وتزييف